تفسير ابن كثير

يذكر تعالى أن الكفار يتلاومون في عرصات القيامة كما يتخاصمون في دركات النار { فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار * قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن ا قد حكم بين العباد } وقال تعالى : { ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر با ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون } وهكذا قالوا لهم ههنا { إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين } قال الضحاك عن ابن عباس يقولون كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا لأنا كنا أذلاء وكنتم أعزاء وقال مجاهد يعني عن الحق والكفار تقوله للشياطين وقال قتادة قالت الإنس للجن إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال من قبل الخير فتنهونا عنه وتبطئونا عنه وقال السدي تأتوننا من قبل الحق وتزينون لنا الباطل وتصدونا عن الحق وقال الحسن في قوله تعالى : { إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين } إي وا يأتيه عند كل خير يريده فيصده عنه وقال ابن زيد معناه تحولون بيننا وبين الخير ورددتمونا عن الإسلام والإيمان والعمل بالخير الذي أمرنا به وقال يزيد الشرك من قبل لا إله إلا ا وقال خصيف يعنون من قبل ميامنهم وقال عكرمة { إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين } قال من حيث نأمنكم .

وقوله تعالى : { قالوا بل لم تكونوا مؤمنين } تقول القادة من الجن والإنس للأتباع ما الأمر كما تزعمون بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان قابلة للكفر والعصيان { وما كان لنا عليكم من سلطان } أي من حجة على صحة ما دعوناكم إليه { بل كنتم قوما طاغين } أي بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذي جاءتكم به الأنبياء وأقاموا لكم الحجج على صحة ما جاؤوكم به فخالفتموه { فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون * فأغويناكم إنا كنا غاوين } يقول الكبراء للمستضعفين حقت علينا كلمة ا أنا من الأشقياء الذائقين للعذاب يوم القيامة { فأغويناكم } أي دعوناكم إلى الضلالة { إنا كنا غاوين } أي فدعوناكم إلى ما نحن فيه فاستجبتم لنا قال ا تبارك وتعالى : { فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون } أي الجميع في النار كل بحسبه { إنا كذلك نفعل بالمجرمين * إنهم كانوا } أي في الدار الدنيا { إذا قيل لهم لا إله إلا ا يستكبرون } أي يستكبرون أن يقولوها

كما يقولها المؤمنون قال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد ا بن أخي بن وهب حدثنا عمي حدثنا الليث عن ابن مسافر يعني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة Bه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا ا فمن قال لا إله إلا ا فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على ا D] وأنزل ا تعالى في كتابه العزيز وذكر قوما استكبروا فقال تعالى : { إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا ا يستكبرون } وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن سعيد الجريري عن أبي العلاء قال : يؤتى باليهود يوم القيامة فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد ا وعزيرا فيقال لهم : خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد ا والمسيح فيقال لهم : خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالمشركين فيقال لهم لا إله إلا ا فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا ا فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا ا فيستكبرون فيقال لهم خذوا ذات الشمال قال أبو نضرة فينطلقون أسرع من الطير قال أبو العلاء ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد ا تعالى فيقال لهم هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون نعم فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون نعلم أنه لا عدل له قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجي ا المؤمنين { ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون } أي أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا الشاعر المجنون يعنون رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال ا تعالى تكذيبا لهم وردا عليهم : { بل جاء بالحق } يعني رسول ا صلى ا عليه وسلّم جاء بالحق في جميع شرعة ا تعالى له من الأخبار والطلب { وصدق المرسلين } أي صدقهم فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة والمناهج السديدة وأخبر عن ا تعالى في شرعه وأمره كما أخبروا { ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك } الاية